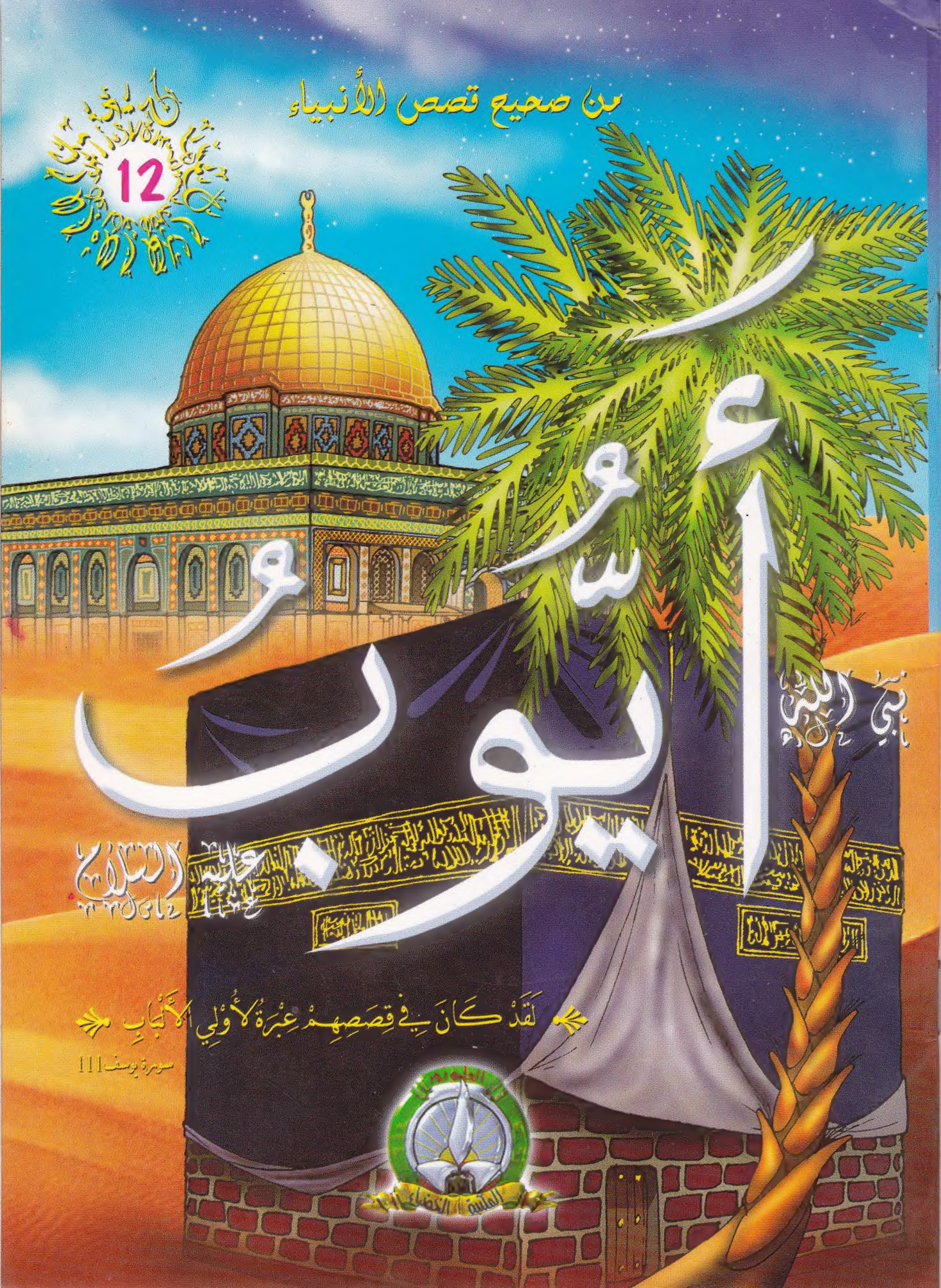

من صحيح قصص الأنبياء
12
نبي الله
أيوب
عليه السلام
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
سورة يوسف 111

من صحيح قصص الأنبياء
12

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ سورة يوسف 111

نبيُّ الله

أيوب

عليه السلام

إعداد: قندوزي كمال

مراجعة علمية: مشري عمر – مراجعة لغوية: ساعد العلوي

الطبعة الرابعة

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر والتوزيع
1أ طريق الزواوة الشراقة الجزائر

الإيداع القانوني: 2007-3556
ردمك: 978-9961-25-007-5

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

(سورة الأنبياء، الآية 83)

أَيُّوبَ الشَّاكِرُ

الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ أَيُّوبُ عليه السلام الَّذي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِصَبْرِهِ، .وَبِمَا حَصَلَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الابْتِلاَءِ، يَجْعَلُنَا نَهْتَمُّ بِقِصَّتِهِ الْمُؤَثِّرَةِ الرَّائِعَةِ؛ فَفِيهَا عِبْرَةٌ وَدَرْسٌ لَنَا فِي حَيَاتِنَا.

كَانَ أَيُّوبُ عليه السلام رَجُلاً رُومِيًّا مِنْ سُلاَلَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليهم السلام، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا ذَا ثَرْوَةٍ طَائِلَةٍ، قَدْ أُوتِيَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ؛ أَرَاضٍ وَاسِعَةٌ شَاسِعَةٌ مَلِيئَةٌ بِأَشْجَارِ الْفَوَاكِهِ عَلَى اخْتِلاَفِ أَصْنَافِهَا مَعَ زُرُوعٍ وَخُضَرٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ الثَّرَوَاتِ كَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالعَبِيدِ، وَالأَنْعَامِ مِنْ مَوَاشٍ وَأَبْقَارٍ. وَهَذَا بِأَرْضِ البَثِينَةِ مِنْ حُورَانَ بِالشَّامِ، وَقَدْ كَانَ مُكْتَمِلاً خِلْقَةً وَخُلُقًا، جَمِيلَ الْمَظْهَرِ، طَوِيلاً قَوِيَّ الْبِنْيَةِ، تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالوَقَارُ، وَاسِعَ الْعَيْنَيْنِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ، غَلِيظَ السَّاقَيْنِ وَالسَّاعِدَيْنِ، مُكْتَمِلَ النَّشَاطِ، يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً حُلْوَةً، وَمَعَ اجْتِمَاعِ نِعْمَةِ

الْمَالِ وَنِعْمَةِ صِحَّةِ الْبَدَنِ كَانَ مِعْطَاءً مُتَوَاضِعًا مُحِبًّا لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ الأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ إِذَا رُزِقُوا بِالْمَالِ الْكَثِيرِ تَجَبَّرُوا عَلَى الْخَلْقِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الْحَاجَةِ، بَلْ كَانَ عَكْسَ ذَلِكَ تَمَامًا؛ حَيْثُ كَانَ سَخِيًّا، كَرِيمًا جَوَادًا، سَمْحًا، يُعْطِي بِدُونِ أَنْ يُسْأَلَ، يُعِينُ الْفُقَرَاءَ وَيُجَالِسُهُمْ، وَيَتَبَسَّمُ فِي وُجُوهِهِمْ حَتَّى لاَ يُحِسُّوا أَنَّهُ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ، أَمَّا الأَيْتَامُ الصِّغَارُ الَّذِينَ فَقَدُوا الْوَالِدَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَقَدْ كَانَ لَهُمْ كَالأَبِ الْحَنُونِ، وَكَالأُمِّ الْعَطُوفِ، تَرَاهُ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ، وَيُدْنِيهِمْ إِلَيْهِ، وَيُقَدِّمُهُمْ عَلَى أَبْنَائِهِ، يُطْعِمُهُمْ، وَيَكْسُوهُمْ كِسْوَةً حَسَنَةً، لأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مُعِينٌ، وَلاَ كَافِلٌ، فَكَانَ هُوَ الْمُعِينَ وَالْكَافِلَ، يَرْحَمُ الصِّغَارَ وَيُوَقِّرُ الْكِبَارَ، يُعِينُ الْمَلْهُوفِينَ، وَيُضَيِّفُ الْمُسَافِرِينَ الَّذِينَ فَقَدُوا زَادَهُمْ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَكَانَ مَعَ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، غَيْرَ مُفَرِّطٍ فِيمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لأَنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَالنَّاسُ

يَعْجَبُونَ مِنْهُ؛ فَهَذَا الْمَالُ الْكَثِيرُ الْمُبَارَكُ لَمْ يُغَيِّرْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلَمْ يُنْسِهِ وَظِيفَتَهُ، لأَنَّ الْمَالَ عِنْدَهُ لَيْسَ غَايَةً وَهَدَفًا، بَلِ الْغَايَةُ هُوَ تَعْبِيدُ النَّاسِ لِرَبِّهِمْ تَعَالَى كَيْ يُوَحِّدُوهُ، وَيُمَجِّدُوهُ، وَيَخَافُوهُ، وَيَرْجُوهُ، فَكَانَ شَاكِرًا لِلَّهِ عَلَى مَا حَبَاهُ مِنَ النِّعَمِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ كَثِيرًا، عَابِدًا لَهُ، مُخْلِصًا فِي طَاعَتِهِ، مُجْتَنِبًا لِمَعَاصِيهِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ، مُجْتَنِبًا لِلشَّرِّ وَالأَشْرَارِ، وَحَتَّى تَكْتَمِلَ سَعَادَةُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَكْثَرَ، فَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ زَوْجَةً صَالِحَةً طَائِعَةً لِرَبِّهَا، يُحِبُّهَا وَتُحِبُّهُ، وَلَهُ مَعَهَا ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ ذَوُو جَمَالٍ، إِذَا خَرَجُوا تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ مُلُوكٌ، وَرَائِحَةُ الْعِطْرِ تَنْبَعِثُ مِنْهُمْ عَنْ بُعْدٍ، يُضْرَبُ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي حُسْنِ تَرْبِيَتِهِمْ وَآدَابِهِمُ الرَّفِيعَةِ، وَعِلْمِهِمُ الْوَاسِعِ لِحِرْصِ أَبِيهِمْ عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، فَكَانُوا نِعْمَ النَّشْءُ وَالْخَلَفُ لأَبِيهِمْ، وَتَصَرُّفَاتُ الابْنِ تَعُودُ غَالِبًا إِلَى تَوْجِيهِ الأَبِ الَّذِي يُشْكَرُ عَلَى تَوْجِيهِهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الابْنُ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الأَخْلاَقِ عَادَ النَّاسُ بِاللَّوْمِ عَلَى الأَبِ وَالأُمِّ، وَهَذَا مَا جَعَلَ مَكَانَةَ

أَيُّوبَ عليه السلام تَزْدَادُ وَتَعْظُمُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَهُوَ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. هَذَا هُوَ حَالُهُ فِي وَقْتِ الرَّخَاءِ مِنْ شُكْرٍ وَحَمْدٍ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ، وَمِنْ صَدَقَةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، لَكِنْ هَلْ يَكُونُ سُلُوكُهُ فِي الْمَصَائِبِ وَالابْتِلاَءِ كَمَا هُوَ فِي الرَّخَاءِ؟

ابْتِلاَءُ أَيُّوبَ وَصَبْرُهُ

أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَمْتَحِنَ عَبْدَهُ أَيُّوبَ عليه السلام بِامْتِحَانٍ صَعْبٍ لِيُرِيَ لِلنَّاسِ مَدَى صَبْرِ أَيُّوبَ مِنْ جِهَةٍ، وَلِيَرْفَعُ دَرَجَتَهُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، لأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي إِذَا كَانَ فِي نِعْمَةٍ شَكَرَ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ صَبَرَ عَلَيْهَا وَثَبَتَ، وَلاَ يَتَسَخَّطُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

هَا هُوَ أَيُّوبُ عليه السلام بَعْدَ ذَاكَ الرَّخَاءِ وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ، وَالْمَالِ الْوَفِيرِ، وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ وَالصِّحَّةِ فِي الْبَدَنِ، يَنْقَلِبُ عَلَيْهِ كُلُّ ذَلِكَ؛ فَتَبَدَّلَتِ الصِّحَّةُ إِلَى مَرَضٍ، وَتَبَدَّلَ الْغِنَى إِلَى فَقْرٍ، وَتَبَدَّلَ حُبُّ النَّاسِ لَهُ وَالاجْتِمَاعُ بِهِ إِلَى الابْتِعَادِ عَنْهُ، وَنُفُورِهِمْ مِنْهُ، وَأَرَادَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِحِيلِهِ وَمَكَائِدِهِ

أَنْ يُبْعِدَ أَيُّوبَ عليه السلام عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَالتَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ثَبَّتَ عَبْدَهُ الطَّائِعَ.

وَكَانَتْ بِدَايَةُ الامْتِحَانِ أَنَّ اللَّهَ أَفْقَرَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَمْلِكُ؛ أَخَذَ مِنْهُ الْعَبِيدَ وَالْخَدَمَ الَّذِينَ كَانَ يَمْلِكُهُمْ، وَأَخَذَ مِنْهُ الأَنْعَامَ مِنَ الْمَوَاشِي وَالأَبْقَارِ، أَمَّا الأَرَاضِي، فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ غَنَّاءَ يُزْرَعُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ أَصْبَحَتْ قَاحِلَةً جَرْدَاءَ لاَ ثَمَرَ فِيهِ وَلاَ زَرْعَ، فَذَبُلَتِ الأَشْجَارُ وَيَبِسَ الزَّرْعُ وَأَصْبَحَتْ أَرْضًا بُورًا. أَمَّا أَبْنَاؤُهُ فَقَدْ جَعَلَ الْمَوْتُ يَأْخُذُهُمُ الْوَاحِدَ تِلْوَ الآخَرِ، صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ هُوَ فِي الْهُزَالِ وَالضَّعْفِ، وَاعْتَرَتْهُ أَمْرَاضٌ كَثِيرَةٌ حَتَّى ضَعُفَ كَالشُّيُوخِ الْمُسِنِّينَ؛ إِذْ أَصْبَحَ، بَعْدَ النَّشَاطِ وَالْعِزِّ وَالسِّيَادَةِ، فَقِيرًا مُحْتَاجًا ضَعِيفًا مَرِيضًا، وَقَدْ تَرَكَهُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ وَيُحِبُّونَهُ وَيُجَالِسُونَهُ وَيُصَاحِبُونَهُ، وَحِيدًا فَرِيدًا، فَلَمْ يُصْبِحْ صَدِيقَهُمْ بَعْدَ أَنْ نَفَدَ مَالُهُ، لأَنَّ أَغْلَبَ النَّاسِ وَالأَصْحَابِ تُبَّعٌ لِلْمَالِ، يَمِيلُونَ إِلَى الثَّرِيِّ، وَلَمَّا

تَجَرَّدَ مِنَ الْمَالِ مَالُوا عَنْهُ، فَلَا صَدِيقَ يُصَاحِبُهُ، وَلَا رَفِيقَ يُؤَانِسُهُ.

صَبْرُ زَوْجَةِ أَيُّوبَ عليه السلام

لَمْ يَبْقَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ الشَّدِيدَةِ وَهَذَا الامْتِحَانِ الصَّعْبِ إِلَّا زَوْجَتُهُ الصَّالِحَةُ؛ فَكَمَا أَنَّهَا رَضِيَتْ مِنْ قَبْلُ أَنْ تُقَاسِمَهُ النِّعْمَةَ وَالأَفْرَاحَ، فَقَدْ رَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهِ، وَالأَمْرُ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلْ إِنَّ دَارَهُمْ أَيْضًا ضَاعَتْ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا فَقَدُوا كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَأْكُلُونَ، بَاعُوا تِلْكَ الدَّارَ الَّتِي كَانَتْ تَقِيهِمْ حَرَّ الصَّيْفِ وَبَرْدَ الشِّتَاءِ، وَأَخَذُوا يَأْكُلُونَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي يَنْقُصُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ نَفِدَ كُلُّهُ، فَانْتَقَلُوا إِلَى الْعَرَاءِ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ الصَّالِحَةُ هِيَ الَّتِي تَقُومُ وَتَعْتَنِي بِهِ؛ تَخْرُجُ لِتَخْدِمَ النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ مُقَابِلَ أَجْرٍ زَهِيدٍ لِتُطْعِمَ أَيُّوبَ عليه السلام وَنَفْسَهَا، وَكَانَتْ تَقُومُ بِكُلِّ

الأَعْبَاءِ فِي بُيُوتِ الأَغْنِيَاءِ مِنْ طَهْيٍ وَغَسْلٍ لِلثِّيَابِ وَتَنْظِيفٍ لِلْبُيُوتِ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى زَوْجِهَا آخِرَ النَّهَارِ لِتَحْمِلَ مَعَهَا مَا تَحَصَّلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أُجْرَةٍ، كَانَتْ هَذِهِ هِيَ حَالَهَا دَائِمًا؛ تَكْدَحُ فِي حَرِّ الصَّيْفِ بِلَا تَوَقُّفٍ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ، وَالنَّاسُ فِي رَاحَةٍ مِنَ الْحَرِّ وَعَنَاءِ الأَشْغَالِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ عِنْدَ حُلُولِ الشِّتَاءِ وَالْبَرْدِ الْقَارِسِ وَالْمَطَرِ الْغَزِيرِ، وَهِيَ فِي نَفْسِ الْعَمَلِ صَابِرَةٌ مَعَ زَوْجِهَا، مُحْتَسِبَةٌ الأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَانَ قَوْمُهَا يَأْتُونَهَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ مِنَ الأَكْلِ وَالثِّيَابِ وَالْمَالِ لِتُعِينَ نَفْسَهَا عَلَى شَظَفِ الْعَيْشِ وَقَسَاوَةِ الْحَيَاةِ، أَمَّا أَيُّوبُ عليه السلام فَكَانَ مَعَ شِدَّةِ حَالِهِ، وَوَضْعِهِ الْمُزْرِي لَا يَتَوَقَّفُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ اخْتِبَارٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ لِيَعْلَمَ أَيَصْبِرُ وَيَبْقَى ذَاكِرًا لَهُ سُبْحَانَهُ، أَمْ أَنَّهُ يَمَلُّ وَيَتَضَجَّرُ وَيَقْلَقُ؟ وَظَهَرَ جَلِيًّا أَنَّهُ كَمَا كَانَ ذَاكِرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي حَالَةِ الْيُسْرِ كَانَ ذَاكِرًا لَهُ فِي حَالَةِ الضَّعْفِ وَالْعُسْرِ.

أَيُّوبُ يَتَغَلَّبُ عَلى الشَّيْطَانِ

وَالشَّيْطَانُ دائِمًا يَغْتَنِمُ هَذِهِ الْفُرَصَ لِيُوَسْوِسَ لِلْعِبادِ؛ إِذْ كَانَ يَأْتِي إِلَى أَيُّوبَ عليه السلام مُوَسْوِسًا لَهُ بِأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُحِبُّهُ، فَلَوْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لَبَقِيَ حالُهُ غَنِيًّا كَمَا كَانَ، وَلَما تَغَيَّرَ إِلَى هَذَا الْفَقْرِ الْمُدْقِعِ وَالْمَرَضِ الْعُضَالِ، لَكِنَّ أَيُّوبَ عليه السلام يَطْرُدُ وَسْوَاسَ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ، وَيَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ قَائِلًا: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)؛ إِذْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حِيَلَ إِبْلِيسَ كَثِيرَةٌ لِيُضِلَّ الْعِبَادَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَصَبَرَ لِوَسَاوِسِهِ وَمَكَائِدِهِ، وَثَبَتَ ثَبَاتَ الْجِبَالِ، وَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا بِأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ امْتِحَانٌ يَمْتَحِنُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَزْدَادُوا قُرْبًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَأْجِرُونَ زَوْجَةَ أَيُّوبَ عليه السلام فِي بُيُوتِهِمْ خَافُوا أَنْ يَنَالَهُمْ مَا نَالَهُ مِنْ بَلَائِهِ، أَوْ تُعْدِيَهُمْ بِمَرَضِهِ، لِأَنَّهَا هِيَ الْقَائِمَةُ عَلَيْهِ وَالْمُعْتَنِيَةُ بِهِ، لَمَّا

خافُوا ذَلِكَ أَبَوْا أَنْ تَعْمَلَ عِنْدَهُمْ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ، وَنَفَرُوا مِنْ خِدْمَتِهَا، فَلَمَّا ضَاقَ عَلَيْهَا الْحَالُ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تُحْضِرُهُ إِلَى أَيُّوبَ عليه السلام، وَفَكَّرَتْ فِيمَا تَفْعَلُهُ، فَتَوَصَّلَتْ إِلَى فِكْرَةِ بَيْعِ شَعْرِهَا الطَّوِيلِ الْجَمِيلِ، وَقَدْ كَانَتِ النِّسَاءُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَتَبَاهَيْنَ بِالشَّعْرِ الْجَمِيلِ، حَيْثُ كَانَتِ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ تَرْبِطُ بِشَعْرِهَا شَعْرًا آخَرَ حَتَّى تُظْهِرَ أَنَّ لَهَا شَعْرًا طَوِيلًا جَمِيلًا؛ ذَهَبَتْ إِلَى إِحْدَى النِّسَاءِ الْغَنِيَّاتِ وَاقْتَرَحَتْ عَلَيْهَا أَنْ تُعْطِيَهَا ضَفِيرَةً وَاحِدَةً مِنَ الضَّفِيرَتَيْنِ عَلَى أَنْ تُعْطِيَهَا طَعَامًا طَيِّبًا كَثِيرًا، قَبِلَتْ تِلْكَ الْغَنِيَّةُ بِالْفِكْرَةِ فَجَزَّتْ زَوْجَةُ أَيُّوبَ عليه السلام ضَفِيرَةً وَاحِدَةً وَأَعْطَتْهَا إِيَّاهَا، وَأَخَذَتْ هِيَ الطَّعَامَ إِلَى زَوْجِهَا فَسَأَلَهَا مِنْ أَيْنَ جَاءَهَا؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا خَدَمَتْ بِهِ أُنَاسًا قَدَّمُوا لَهَا هَذَا أَجْرًا عَنْ عَمَلِهَا، مَكَثُوا أَيَّامًا وَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ إِلَى أَنْ نَفِدَ، وَلَمْ تَجِدِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ مَا تَأْكُلُهُ هِيَ وَزَوْجُهَا إِلَّا أَنْ تَأْخُذَ الضَّفِيرَةَ الْأُخْرَى لِامْرَأَةٍ غَنِيَّةٍ لِتُعْطِيَ

لَهَا الطَّعَامَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، وَأَخَذَتْ مِنْهَا الأَكْلَ، فَلَمَّا جَاءَتْ بِهِ إِلَى أَيُّوبَ عليه السلام سَأَلَهَا: مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ بِهَذَا الطَّعَامِ؟ وَكَانَ كُلَّمَا جَاءَتْ بِطَعَامٍ يَسْأَلُهَا عَنْ مَصْدَرِهِ، فَحَلَفَ لَهَا: إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ حَتَّى تُخْبِرَهُ، فَنَزَعَتِ الْخِمَارَ، وَرَأَى أَنَّ شَعْرَهَا مَقْطُوعٌ، حِينَهَا عَلِمَ أَنَّهَا مَا فَعَلَتْ ذَلِكَ بِشَعْرِهَا إِلَّا لِتُطْعِمَهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهَا وَحَلَفَ: إِنْ شَفَاهُ اللَّهُ لَيَجْلِدَنَّهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَقَالَ مُنَادِياً رَبَّهُ دَاعِيًا إِيَّاهُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء، 83]، وَجَاءَهُ رَجُلَانِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَانَا طِوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا أَيُّوبُ عليه السلام فِي الِابْتِلَاءِ يَأْتِيَانِ إِلَيْهِ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ، لِيَتَفَقَّدَاهُ وَيَنْظُرَا إِلَى حَالِهِ، وَيُعِينَاهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ عِنْدَمَا تَغِيبُ عَنْهُ زَوْجَتُهُ فِي عَمَلِهَا. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ بَيْنَمَا هُمَا مَاضِيَانِ إِلَى أَيُّوبَ عليه السلام لِيَنْظُرَا فِي حَالِهِ كَمَا كَانَا يَفْعَلَانِ مِنْ قَبْلُ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: إِنَّ أَيُّوبَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا عَظِيمًا لِذَلِكَ ابْتَلَاهُ اللَّهُ هَذَا الِابْتِلَاءَ عِقَابًا لَهُ، فَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لِمُدَّةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمَّا وَصَلَا

إِلَيْهِ عليه السلام نَقَلَ أَحَدُهُمَا لَهُ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُهُ عَنْ ذَنْبِهِ وَعِقَابِ اللَّهِ لَهُ. قَالَ النَّبِيُّ الصَّابِرُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي مَا عَصَيْتُهُ، وَمَا ارْتَكَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا كَمَا تَقُولُ، بَلْ إِنِّي كُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِرَجُلَيْنِ يَتَشَاجَرَانِ أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمَا خَشْيَةَ أَنْ يَحْدُثَ بَيْنَهُمَا شَرٌّ، وَعِنْدَمَا أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ أَسْتَغْفِرُ لَهُمَا اللَّهَ عَلَى مَا فَعَلَاهُ مِنْ سَبٍّ وَرَفْعِ صَوْتٍ. فَقَدْ كَانَ عليه السلام عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ؛ يُحِبُّ الْخَيْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الشَّرَّ وَيَنْهَى عَنْهُ.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

وَعِنْدَئِذٍ ضَاقَ أَيُّوبُ عليه السلام مِمَّا أَصَابَهُ فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ، فَاسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص، 42]، لِيَخْرُجَ مِنْهَا يَنْبُوعٌ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ، ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ وَيَغْتَسِلَ فَقَالَ: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص، 42]، لِيُذْهِبَ عَنْهُ كُلَّ الأَوْجَاعِ وَالأَمْرَاضِ الَّتِي كَانَتْ بِهِ، وَزَادَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ صَبَّ عَلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ

الْكَثِيرِ، أَخَذَ أَيُّوبُ عليه السلام يَحْمِلُ الذَّهَبَ وَهُوَ مَدْهُوشٌ مِنْ جَمَالِهِ وَلَمَعَانِهِ، وَجَاءَتْ زَوْجَتُهُ وَرَأَتْهُ، لَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهُ فَسَأَلَتْهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ هَذَا الْمُبْتَلَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ خَشِيتُ أَنَّ الْكِلَابَ أَوِ الذِّئَابَ قَدْ أَخَذَتْهُ، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُشْبِهُهُ لَمَّا كَانَ شَابًّا. قَالَ لَهَا: إِنِّي أَنَا أَيُّوبُ. قَالَتْ لَهُ: أَتَسْخَرُ مِنِّي يَا عَبْدَ اللَّهِ. قَالَ لَهَا: إِنِّي أَنَا أَيُّوبُ قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ جَسَدِي كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ. فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَبَدَتْ كَأَنَّهَا لَا تُصَدِّقُ مَا تَرَاهُ، وَكَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعَبْدِهِ أَيُّوبَ عليه السلام أَنَّهُ أَحْيَا لَهُ أَوْلَادَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا) [ص، 43]، وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَعَثَ سَحَابَتَيْنِ إِلَى أَرْضَيْنِ مِنْ أَرَاضِيهِ الَّتِي كَانَتْ جَدْبَاءَ مَيِّتَةً، فَأَمْطَرَتَا عَلَيْهِمَا غَيْثًا طَيِّبًا فَأَصْبَحَتَا جَنَّتَيْنِ فِيهِمَا زُرُوعٌ وَفَوَاكِهُ وَخُضَرٌ، وَعَادَ لِلنَّبِيِّ الصَّابِرِ غِنَاهُ وَثَرَاؤُهُ بِفَضْلِ اللَّهِ جَزَاءً عَلَى صَبْرِهِ الطَّوِيلِ.

تَعَجَّبَ النَّاسُ مِمَّا حَصَلَ لِأَيُّوبَ عليه السلام بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً مِنَ الِابْتِلَاءِ الشَّدِيدِ وَالِامْتِحَانِ الْعَظِيمِ؛ إِذْ فَرَّجَ

اللَّهُ كُرْبَتَهُ، فَوَسَّعَ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّضْيِيقِ، وَازْدَادَ حَالُهُ يُسْرًا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مَا حَدَثَ لَهُ عليه السلام دَرْسًا لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي سَائِرِ الْأَزْمِنَةِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يُجَرِّبُ عَبْدَهُ كَيْفَمَا شَاءَ بِالْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَا يُرِيدُ مِنْ هَذَا الِاخْتِبَارِ لِعِبَادِهِ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُقَرِّبَ عَبْدَهُ إِلَيْهِ بِهَذَا الِابْتِلَاءِ.

أَمَّا قَسَمُهُ الَّذِي أَقْسَمَهُ أَنْ يَجْلِدَ زَوْجَتَهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِقَوْلِهِ: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ) [ص، 43] فَأَخَذَ حُزْمَةً بِهَا مِائَةُ عُودٍ مِنْ حَشِيشٍ بَيْنَ الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، وَذَلِكَ هُوَ "الضِّغْثُ"، فَضَرَبَ بِهَا زَوْجَتَهُ، وَهَكَذَا أَبَرَّ اللَّهُ قَسَمَ عَبْدِهِ، وَهَذَا رَحْمَةً بِهِ وَبِزَوْجَتِهِ الَّتِي خَدَمَتْهُ، وَمَا تَخَلَّتْ عَنْهُ طِوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ.

أَمَّا إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَيُّوبَ عليه السلام سَيَضْعُفُ أَمَامَ هَذَا الِابْتِلَاءِ فَيَتْرُكُ بِذَلِكَ صَلَاتَهُ وَعِبَادَتَهُ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ عليه السلام بَقِيَ مُصَلِّيًا ذَاكِرًا رَبَّهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَفَازَ بِرِضَا أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ.

أسئلة استيعاب القصة:

1- رُزِق أيوب عليه السلام نعما كثيرة قبل ابتلائه بالمرض. اذكرها بإيجاز.

2- يتمتع أيوب بصفات وأعمال خيّرة. أوجزها في فقرة.

3- اختبر الله تعالى نبيه أيوب بنعم عظيمة، كيف كان سلوكه مع المنعم سبحانه؟

4- بعد الاختبار بالرخاء أراد تعالى أن يختبر نبيه بالشدة والبلاء. اذكر في بضعة أسطر أهم تلك المحن.

5- كيف كان موقف زوجة أيوب في هذا الوضع الشديد المؤلم؟ اختصر الإجابة في فقرة.

6- مع شدة البلاء على أيوب عليه السلام هل توقف عن ذكر الله؟ علام يدل ذلك؟ وماذا كان موقف إبليس من حاله؟

7- حينما رفض الناس تشغيل زوجة أيوب إلى ماذا لجأت حتى تأتي بالقوت لنفسها وزوجها؟

8- لماذا كان أيوب يسأل زوجته عن مصدر الطعام الذي تأتي به؟ وماذا كان جوابها في المرة الأخيرة؟

9- لما علم أيوب بأن زوجته باعت شعرها لتشتري بثمنه الطعام. ماذا قال؟

10- لأيوب صاحبان كانا يزورانه أحيانا، ذكرا له مرة أن سبب ابتلائه هو ذنوبه. كيف أجابهما؟

11- بعد بيع الزوجة لظفيرتيْها، وبعد اتهام صاحبيْه له بأن سبب مرضه الطويل هو ذنوبه، توجه إلى الله بالدعاء، ماذا قال؟ وكيف استجاب الله له؟ اختصر ذلك في بضعة أسطر.

12- يُضرب المثل بأيوب عليه السلام في صفة عظيمة تدل على قوة الإيمان. ما هي؟

13- لأيوب موقفان عظيمان يصلحان أن نقتدي به فيهما، موقفه في حالة الرخاء، وموقفه في حالة الشدة والبلاء، اذكر الموقفين واشرحهما حسبما فهمت ذلك من القصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسْعِدُنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَزِيزِي الْقَارِئَ الصَّغِيرَ، هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْمَوْضُوعَةَ بِلُغَةٍ وَ أُسْلُوبٍ يَسْمَحَانِ لَكَ بِإِدْرَاكِ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ عَنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي نَتَوَخَّى مِنْهَا أَنْ تُحَقِّقَ أَهْدَافَهَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَ يَسْتَخْلِصَ أَبْنَاؤُنَا وَ بَنَاتُنَا الْعِبَرَ بِمَا لَحِقَ الأَنْبِيَاءَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَانَاتُهُم مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَإِذَايَاتُهُمْ لَهُمْ. وَ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَاجَهُوا أَقْوَامَهُم بِمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالرِّفْقِ وَ اللِّينِ وَ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يُبَلِّغُوا دِينَ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَتَّخِذَهُمُ الْقَارِئُ نِبْرَاسًا فِي حَيَاتِهِ، وَ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَ قَدْ بَذَلْنَا جُهْداً فِي تَنْقِيحِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الْجَدِيدَةِ، وَ زِدْنَا فِيهَا أَشْيَاءَ تُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِيعَابِ وَ الْفَهْمِ.

صدر في نفس السلسلة

1 - آدم
2 - إدريس
3 - نوح
4 - هود
5 - صالح
6 - إبراهيم
7 - لوط
8 - إسماعيل
9 - إسحاق
10 - شعيب
11 - يوسف
12 - أيوب
13 - يونس
14 - موسى مع فرعون
15 - موسى مع قومه
16 - موسى مع الخضر
17 - إلياس مع اليسع
18 - ذو الكفل
19 - داود
20 - سليمان
21 - زكريا
22 - يحي
23 - عيسى
24 - محمد

عليهم الصلاة و السلام

الإيداع القانوني : 2007-3556
ISBN : 978-9961-25-007-5
9789961250075

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر و التوزيع

1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net
e-mail:Info@bverte.com

Réf :075